الإعدام في فيلم "هل سيأتي والديا لرؤيتي؟" : من عبث الإجراءات الى الرفض
بقلم سعاد الرباعي

"هل سيأتي والديا لرؤيتي؟" هو فيلم قصير للمخرج الصومالي مو هاراوي، أخرج سنة2022.
يصور فيه الساعات الأخيرة من حياة سجين شاب محكوم عليه بالإعدام. يبدأ الفيلم بشخصية لا تقل أهمية من الشاب : السجانة التي نراها في أول لقطة في سيارة قبال السجن. نتبعها من بعيد ومن خلال اطار السيارة وهي تتجه الى باب السجن.
في المشهد الموالي، نرى يدا ترسم بالطباشير على الأرض. نستحضر بذلك عادة المساجين المتمثلة في رسم خطوط لحساب المدة المتبقية. نكتشف وجه السجين في اللقطة الموالية وقد وضعت الكاميرا في مستوى الشخصية. يبدأ الحوار بينه وبين السجانة التي تعرفنا عليها في اللقطة الأولى من الفيلم ويتم تصويرها من وجهة نظر فرح، الشاب المحكوم عليه بالإعدام. نفهم من خلال سؤال السجانة : "ماذا تريد أن تأكل اليوم؟"، الذي يثير الاستغراب في البداية، أن وضعية فرح مختلفة عن بقية المساجين وأن هذا السؤال هو جزء من الإجراءات التي تسبق تنفيذ عقوبة الإعدام. إجابة فرح تكاد تكون عادية، لكن نفهم منها ومن السؤال أن الوجبة استثنائية.

الاجراء الثاني هو الفحص الطبي الذي يبدو عبثيا : فما الغاية من التأكد من صحة السجين قبل إعدامه؟. الصمت المخيم على معظم لقطات المشهد ونظرات الإطار الطبي التي تعبر عن نوع من التعاطف تجاه فرح تشعرنا بهيبة الموقف.
الاجراء الموالي، وهو موجود في مشهد المقابلة مع موظف في إدارة السجن، يمكننا من فهم وضعية السجين بأكثر دقة، اذ نتبن أن فرح متهم في قضية متعلقة بالإرهاب. دور الموظف هو التأكد من فهم المحكوم عليه بالاعدام للإجراءات. لم يبد الشاب أي ردة فعل في ما عدا سؤاله الذي يعطي للفيلم عنوانه : "هل سيأتي والديا لرؤيتي؟". وهنا تبرز الرغبة الحقيقية للشخصية.
يكتسي مشهد الأكل، الذي يمكن ادراجه ضمن الإجراءات بحكم الوجبة الاستثنائية ذات الطابع العبثي، نفس الهيبة التي تجلت خلال الفحص الطبي، وذلك من خلال نظرات عامل المطعم الذي يعطي الوجبة وثبات الكاميرا وطول اللقطة. في هذا المشهد يمثل ظهور شخصية الامام وحديثه مع المحكوم عليه بالإعدام جزء من الإجراءات. ورغم محاولة الامام التواصل مع فرح، لا شيء يمكننا من فهم ما يدور ببال الشاب.

من أهم المواقف في الفيلم، انتظار الأبوين الذي يتم تصويره في مشهد صامت وبطيء يجعلنا ننتظر مع الشخصية التي تصور عن بعد نسبيا. هذه المسافة تسمح برؤية ما يوجد خلف فرح : السجانة التي ترافقه في الانتظار دون أن ينبس أحدهما بكلمة. نفهم خيبة أمل فرح عند خروجه من القاعة في صمت وفي حركة عادية وبطيئة، تنتفي فيها الرغبة في التعبير عن إحساس معين. لكن المتفرج يحس بثقل الانتظار وبيأس فرح.

في نهاية الفيلم، نرافق فرح الى مكان خال أين سيتم اعدامه. المشهد الأخير هو، حسب رأيي، أهم جزء في الفيلم. يتغير فيه تصرف الشخصية الذي يتسم بالهدوء وبانعدام ردة فعل تذكر. هنا ينهار فرح، يمسك بثوب السجانة ثم بثوب الامام بقوة وكأنه يحتمي بهتين الشخصيتين اللتين رأى فيهما صورتي الأم والأب اللذين تغيبا في الساعات الأخيرة من حياته. ترافق الكاميرا نزول الشخصية الى الأرض، ولا يترك لنا شريط الصوت المجال لسماع صيحات فرح التي تصلنا منها بعض الأصوات المغمومة والمبهمة ويطغى صوت الريح على المشهد. يعبر موقع الكاميرا وزاوية النظرعن رفض تقزيم الشخصية، بل يحيلنا ذلك الى تعاطف الراوي مع فرح والمحافظة على كرامته. وغياب صيحات فرح ينم كذلك عن عناية بكرامة الشخصية التي تضعف لأول مرة في الفيلم وفيه رفض للمواقف الدرامية التي تؤثر بطريقة سطحية في المتفرج. تفسح الوسائل المستعملة في المشهد المجال للتفكير وللإحساس بالموقف دون مشاعر شفقة متعالية عن الشخصية.

تكمن أيضا أهمية المشهد في تصرف السجانة الدال على رفض الإجراءات. فهي الشخصية الوحيدة التي ترفض متابعة عملية الإعدام والفرجة التي تترتب عنها. نراها في السيارة، لا تلتفت الى مكان تنفيذ العقوبة، تستمع الى الأغنية التي رافقتنا في العديد من المشاهد، بل ترفع الصوت عندما يطلب منها موظف السجن إيقاف الموسيقى، ثم تغادر المكان. تعبر السجانة من خلال هذه التصرفات عن رفضها للإعدام ونكون شهداء على ثورتها بما أن المخرج اختار عدم تصوير لحظة التنفيذ الفعلي للعقوبة وسقوط الشاب، بل جعلنا نتبع الشخصية الرافضة الى بيتها ونتوقف عند لقطة تعبر عن تفكيرها العميق فيما حدث ينتهي معها الفيلم.